

الفصل الخامس

نماذج من شعرة

١ - من الإلياذة

غضب اخيلئوس : (١)

لما عرف أجائمنون أن أبوللون غاضب من أجل كاهنه ، أعلن أنه سيرد ابنة الكاهن إليه ويستعير عنها بمحظية اخيلئوس الذى يغضب ويثور ضده ، فتحدث بينهما مشاجرة عنيفة يتبادلان فيها التحدى والتهديد والإهانة فقال اخيلئوس : « أى أجائمنون أيها الجشع ! أى تعويض تطلب الآن من الآخرين ؟ رد هذه الفتاة لأبيها كاهن أبوللون ، فإذا انتصرنا على طرواده ذات الأبراج العالية ، سنقدم لك بدلا منها ، ثلاث حسنات أو أكثر ، ورد عليه أجائمنون العظيم قائلا : « لا تحاول يا أخيلئوس ، مهما علا قدرك ، ان تخدعنى ! إنك لن تقنعنى أبداً . أتريد أن تحتفظ بفتاتك وأحرم أنا من حبيبتي ؟ أتطلب أن أردّها إلى أبيها ؟ إذن فليعطى الآخيون امرأة جميلة مثلها ! فإذا لم يفعلوا ذلك فسوف أذهب بنفسى وأخذ حبيبك أوحبيبة أودوسيوس أوحبيبة أچاكس ، وليغضب منكم من أزور خيمته واستولى على فتاته . .

(١) اخترنا هذه المقضوعات التى تلائم الذوق العربى ، والزمنا أن تكون الترجمة أمينة حرفية ما وسعنا ذلك ، إلا إذا اضطررنا العبارة العربية إلى تصرف يسير ، واستبعدنا الرموز التى تشير إلى معتقدات اليونان وأساطيرهم إذ لا يمكن فهمها إلا بشروح طويلة لا يتسع لها هذا الكتاب .

ونظر إليه اخيلئوس بازدرام شديد وقال : دآه ! ما أوقحك أيها الأنانى
الجشع ! كيف تنتظر من أى محارب أن يطيع أوامرك راضياً ، ويذهب
للقتال معك ؟ فهل أنا الذى جئت هنا لمحاربة الطرواديين ؟ إنهم لم يسيثوا
إلى مطلقاً ، إنهم لم يسرقوا بقرى ولا خيل ، ولم يهبوا محاصيل أرضى ،
فبينى وبينهم جبال شاهقة وبحار صاخبة ، ولكنتنا جثنا معك ، أيها الوقح ،
لنرضيك ونرضى أخاك منيلاوس . أو لا يعنيك هذا فى شيء الآن ؟ بالطبع
لا ! بل أراك تهدد بالاستيلاء على فتاتى التى أعطانيها اليونان ؛ سأرحل إذن
ولن أفكر فى البقاء هنا بعد أن أهدرت كرامتى ،

فرد عليه أجائمنون قائلاً : د ارحل إذا شئت ، فلن أرجوك البقاء من أجل
فمنالك من يؤيدنى ويحملنى خاصة زيوس الحكيم ، إنك أبغض الى من كل
الملوك الذين يرعاهم سيد الأولومپوس لأنك تحب الخصام دائماً ، وتميل إلى
الحرب والقتال ، فأبحر إلى بلدك بسفنك وجندك ، فأنا لا أعيرك اهتماماً ولا
أعبأ بغضبك ، وإليك إنذارى : أما وقد أمرنى ابوللون برد خروميس ،
فسوف أرسلها إلى أبيها ، وأذهب بنفسى إلى خيمتك وأخذ برميس ذات
الوجنات الوردية لتعلم إلى أى حد أنا أعظم منك شأنًا ، وليتعظ غيرك فلا
يدعى أنه مثلى ولا يتظاهر بأنه شبيهى ،^(١)

رجل من الرهماء ينتفرد اماممنون ، ملك الملوك :

كان لمشجرة البطلين أثر سيء فى نفوس الأخيين ، فخذوا على أجائمنون

(٢) الإيالة : ١ : ١٠١ وما بعده .

واستنكروا فعلته وضاقوا بحشعه ، ولكنهم خافوا منه فلم يصارحوه برأيهم
إلا ثرسيتيس ، فقد صاح في وجهه قائلاً :

« ما شكواك يا ابن اثريوس ؟ وما تريد ؟ إن سفائنك مملوءة بالمال
والعتاد ، مملوءة بالغيد الحسان اللاتي تقدمهن لك عندما نستولى على مدينة
من المدن . أنت في حاجة إلى مزيد من الذهب يحمله إليك أحد الطراوديين
فداء لابنه ؟ أم تريد فتاة جميلة تحتفظ بها لنفسك ؟ إنه لا يليق بزعيم الأخيين
أن يدفع بهم إلى البؤس والشقاء . وأنتم أيها الأخيون ! أي خزي تجلبون
على أنفسكم ! لقد أصبحتم لا تستحقون اسمكم ، فلنعد إلى بلادنا ونترك ذلك
الرجل هنا يذوق ثمرة تصرفاته ويشعر بحاجته إلينا . لقد أهان اخيليوس
الذي يفضلنا ويمتاز عليه ، فاغتصب حبيبته واحتفظ بها لنفسه ، ^(١)

وفر بنذهب لاسترضاء اخيليوس :

عندما غضب اخيليوس وانسحب من المعركة ، ساء موقف اليونان
وتوالت عليهم الهزائم ، فاتفق رؤساؤهم على إرسال سفارة تسترضيه وتقنعه
بالعودة إلى القتال ، فلما وصل أعضاء هذا الوفد إلى خيمته ، تقدم إليه
أودومسيوس وقال :

« سلام عليك ، اخيليوس ! إن مصيبة فادحة تشغل بالنا وتثير مخاوفنا ،
إننا لا نعلم إذا كنا سننقذ السفن أو سنفقدھا ، لقد أقام الأعداء بالقرب
منها معسكراً لهم ولحلفائهم ، وهكتور يَحْتال بقوته ويعصف بجنودنا ،

(١) الإلياذة : ٢ : ٢٥٥ - ٢٤٠ .

لا يحترم الآلهة ولا البشر ، لقد استولى عليه غضب شديد وقرر أن يشعل النار في السفن ويجندل رجالنا أجمعين وكل ما أخشاه أن يحقق الأرباب رغبته فيسكتبوا علينا الموت بعيداً عن ديارنا .

فهيأ إذا كنت تريد أن تنقذ اليونان من مصيبتهم ، وإذا توانيت فسوف تعاني أنت نتائجها ، لأن الشر إذا وقع ، لن تجد لك منه مخرجاً ، فأسرع وفكر في إنقاذ اليونان من بلواهم .

فعندما أرسلك أبوك مع أجاممنون نصحك قائلاً - أي بني ! إن أثينا وهيرا تمنحانك القوة ولكن عليك أن تكبح جماح ثورتك . إياك والشقاق ! كن وديعاً حتى يملكك اليونان ، شباههم وشيوخهم - تلك نصيحة الشيخ التي نسيها .

ولكن هدىء من ثورتك اليوم ، واترك الغضب جانباً ، ان اجاممنون يقدم إليك أنفس الهدايا إذا تخليت عن مقتك وغضبك . ولكن إذا كنت لاتزال تبغضه وتبغض هداياه ، فلتأخذك الشفقة بغيره من اليونان الذين أنهكتهم الحرب . إنهم يحملونك كما يحملون الآلهة ، وسوف تبلغ بينهم قمة المجد .

فأجابه اخيليوس قائلاً : أي أودوسيوس ، يا صاحب الحيل ! يجب أن أصارحك بما أريد وبما سيحدث فعلاً حتى لا تعود إلى وتضا يقنى ؛ إنى أكره من يخفى في نفسه شيئاً ويقول شيئاً آخر ، لذا سأبوح لك بما سوف أفعل . فلا اجاممنون ولا غيره من اليونان يستطيعون إقناعي لأنهم تنكروا الى رغم الجهد المظني الذي بذلته في محاربة العدو ؛ فالجزاء واحد سواء بقينا في خيامنا أم قاتلنا قتال الجبابرة . إنهم يمجدون الجبان كما يمجدون

الشجاع ؛ ولم يبق لى شىء مطلقا بعد الأخطار التى واجهتها والمعارك العديدة التى خضتها . كنت أقضى الليالى دون أن أذوق للنوم طعما وأقضى الأيام دون أن أعرف للراحة معنى ؛ أما اجامنون فكان يبقى فى المؤخرة بالقرب من السفن ، ينتظر الغنائم ، فيوزع منها القليل ويحتفظ لنفسه بالكثير ، فقولوا له كل ماسمعه منى ، وحدثوه بذلك على رؤوس الأشهاد حتى يغضب اليونان كما غضبت .

فلن أتفاوض معه ولن أقاتل فى صفوفه ، لقد سخر منى وأساء إلى ، ولكنه لن يخدعنى أبدا . فليذهب إلى حتفه بظلفه لأن زيوس حرمه نور الحكمة والرشاد . (١)

مناجاة بين اندروماخا وهكتور :

كانت تحب زوجها إلى حد العبادة والتقديس وتحاول أن تمنعه من الذهاب إلى ساحة الوغى ، وهاهو يودعها قبل معركة حامية الوطيس لا بضمن عودته منها ؛ وهذه كلمات اندروماخاله :

« هكتور ، أيها البائس ، إن حماسك ستدفعك إلى الهلاك . ما أشقانى ! الا ترحمنى وترحم طفلك الصغير ! إتنى سأترمل عما قريب ، فعما قريب سيفتلك اليونان ، ولكننى أتمنى أن أموت حتى لا أعيش وحدى ، لأننى لن أسعد من بعدك ولن أعرف إلا الأحزان والهموم . لقد فقدت أبى وامى وكل إخوتى . فأنت ، يا هكتور ، أبى وامى ، وأنت أخى وأنت زوجى ، فأبق هنا وارحمنى . »

فرد عليها هكتور العظيم قائلا : « إننى مهموم لذلك ، ولكننى أخاف
الطرواديين والطرواديات إذا هربت ، كالجبان ، من المعركة . هذا إلى أن
قلبي لا يدفعنى إلى الفرار لأننى تعلمت أن أكون شجاعا على الدوام وأن أقاتل
فى طليعة الطرواديين لأذود عن مجدأبى وأشيد مجدى ؛ إننى أعلم وأحس
فى نفسى وفى قلبي بأنه سيأتى يوم تدمر فيه طرواده المقدسة ، ويهلك
پرياموس ويفنى شعبه . ولكننى لا أفكر فى المستقبل ولا اشغل بالى بهموم
الطرواديين واحزان أمى وأبى وأخوتى بقدر ما أغم لمصيرك المؤلم عندما
ياسرك أحد الأعداء فيأخذك معه وانت تبكين وتنوحين . وهناك فى بلاد
اليونان تعيشين تحت إمرته تغزلين وتحملين الماء . وعندما يراك الناس
والدمع ينهار من عينيك يقولون - ها هى زوجة هكتور بطل الطرواديين
فى المعركة - يقولون هذا فتتجد أحزانك لحاجتك إلى رجل مثلى ينقذك
من العبودية ويرد إليك حريتك . فليتنى أموت أو أدفن حيا ، فهذا أحب
إلىّ من أن أراك باكية مستعبدة » .

« ثم يأخذ ابنه بين ذراعيه ويضمه إلى صدره ويدعو الآلهة أن ترعاه
فيقول :

أى زيوس ، أى أرباب السماء ! حققوا رجائى ! ليت ابنى يشتهر بين
الطرواديين مثلى ! ليتنه يكون قويا عزيز الجانب ، يحكم حكما وطيدا ،
ليتهم يوما يقولون عنه ، وهو راجع من ساحة الوغى ، إنه أعظم من أبيه
وليتنه يعود بأسلاب أعدائه تقطر منها الدماء ، فيسعدأمه ويشرح
صدرها . ،

ثم يضع الطفل بين ذراعى أمه ويلاطفها قائلا : « لا تحزننى من أجلى !

فلن يسوقني إلى الموت رجل قط إذا لم تشأ الأقدار ، لكن إذا حم القضاء
فلامفر منه ، إذهبي إذن إلى المنزل وانصرفي إلى شئونك » . (١)
فودعته وعادت إلى بيتها والدمع ينهار من مقلتيها .

برباموس ينوّل الى اخيلئوس لبسالمه مئة هكتور :

« اخيلئوس ، يامن تشبه الآلهة ! أذكر أباك ؛ إنه كهل مثلي يقترب من
الشيخوخة البغيضة ، ويحتمل أن جيرانه يذيقونه كثوس الضنى وأنه لا يجد
من يدفع عنه البلاء وينقذه من الدمار ؛ ولكنه ، على أى حال ، أسعد
منى ، فهو يقر عينا عندما يعلم أنك حى ترزق ، ويؤمل دائما أن يراك عائداً
من طرواده ؛ أما أنا فاشقى الخلق اجمعين . لقد انجبت ابناً كثيرين ، لم يبق
لى منهم ولد واحد . كانوا خمسين حين جاء اليونان إلى بلدنا ، منهم تسعة
عشر من زوجتى والآخرون من نساء القصر ؛ مات معظمهم فى الحرب
الضروس ، ثم قتلت أنت هكتور وهو يدافع عن بلاده ، هكتور الذى
كان يفضلهم جميعا ، لأنه كان يحمى المدينة ويدودعنا . والآن جئت لافتديه
بفداء ضخم عظيم ؛ فاحترم الآلهة وارحمى ، واذكر أباك يا أخيلئوس ،
واعلم اننى أشد الناس بؤسا لأننى أقدمت على عمل مالم يعمله انسان من قبل ،
فلثمت يد من قتل ولدى ، .

ولما سمع اخيلئوس كلامه تذكر أباه فاجهش فى البكاء وارتقى الشيخ عند
قدمية وبكى ، ثم وقف البطل وأخذ بيده وساعده على النهوض وقال :

(١) الإلياذة : ٦ : ٣٦٩ وما بعد .

« آه ! ما أشقاك ! لاشك أن فؤادك ذاب من الآلام والهموم . كيف أقدمت على المجيء وحدك إلى سفن الآخيين ، تحت أعين من قتل كثيراً من أبنائك الأعزاء ؟ فهل قلبك من حديد ؟ »

ولكن اجلس على هذا العرش ، وهيا بنا نفسى آلامنا وهمومنا لأنها لا تفيد شيئاً ، فهذا قضاء الآلهة فرضوه علينا معشر البشر : أن نعيش في حزن عميق ، بينما هم لا يعرفون الحزن أبداً .

ورد عليه پرياموس قائلاً : « لا تطلب إلى الجلوس ، يا أخيليوس ، طالما هكتور ملئني بعيداً عني ؛ أسرع في رده إلى حتى تراه عيناى ! تقبل الفداء العظيم الذى جئت به . »

فنظر إليه أخيليوس وقال : « لا تثرنى ثانية أيها الشيخ ! فانا أيضا افكر فى رد هكتور إليك . لقد جاءتنى أمى رسولة من قبل زيوس ، ولقد قادتك أنت أيضا إله ، أرشدك ، فيما أعلم ، إلى سفن الآخيين ولولا ذلك لما استطعت المجيء إلى هذا المعسكر حتى ولو كنت فى ريعان الشباب . فلو أنك حاولت ، لما نجوت من يد الحراس ولما تمكنت من اقتحام الأبواب . فلا تثر أشجانى ، أيها الشيخ ، لأنى أخاف أن أصيبك بأذى رغم أنك جئتنى متوسلا وبذا أخالف قوانين زيوس . »

ولما سكث خاف پرياموس وأطاع ، ثم انتفض أخيليوس واندفع خارج الدار ، ونادى الخادومات وأمرهن بغسل الجثة ودهنها . فلما انتهين من إعدادها ، لفت فى كفن جميل ثم وضعها أخيليوس بنفسه فى نعش حمله أتباعه ووضعوه فوق عربة پرياموس ، ثم عاد البطل إلى منزله وقال لپرياموس :

« لقد عاد إليك ابنك ، أيها الشيخ ، تحقيقاً لرغبتك ، لقد وضعته على عربتك ، وغداً ستراه عند بزوغ الفجر وتأخذه معك . » (١)

• • •

٢ - من الأوديسا

تليماخوس والعشاق :

لما ضاق تليماخوس بالعشاق الأشرار جمع مجلس الأمة ليعرض على أعضائه الأمر ويطلب إليهم العون ليخلصوه من هؤلاء الفجار ، فوقف فيهم خطيباً وقال :

« لقد دعوتكم لأن الحزن أضناني ؛ إنني لا أعلم شيئاً عن عودة الجيش ، وليس لدى خبر أزفه إليكم أو موضوع سياسي أعرضه عليكم ؛ ولكنني في حاجة إلى عودتكم لأن المصائب نزلت بي : لقد فقدت أبي الباسل ، ملككم ووالدكم جميعاً ؛ وهذا بلاء أعظم سيجلب على قصرنا الدمار ويحرمنا نعم الحياة ، إنهم عشاق يضايقون أمي ويطمعون في الزواج منها رغماً عنها ، إنهم أمراء إيثاكا اعتادوا أن يقضوا وقتهم في قصرنا ، يذبحون أبقارنا وأغنامنا ، ويقىمون الولائم ويعاقرون الخمر ، يسرفون في كل شيء لأنهم لا يجدون رجلاً مثل أبي يردعهم ويحافظ على القصر من عبثهم لأنني مازلت قاصراً لا أقدر عليهم ؛ إنهم أوغاد لا يهتمون ، فثوروا في وجههم واخشوا لوم جيرانكم وخافوا يوم الحساب وفكروا في غضب الآلهة ؛ إنني استحلفكم بسيد الأرباب أن تضعوا حداً لهذه الفوضى ، وتساعدوني على قضاء أيامي وكفاني حزني ووحدتي ! اللهم إلا إذا كان أبي قد أساء إليكم وأنتم تنتقمون مني لفعلته وتثيرون عليّ هؤلاء الأعداء . »

ولما انتهى من الكلام ، اغرورقت عيناه بالدموع وضرب الأرض
بصولجانه ثم ألقاه . وأسف القوم أسفاً بالغاً ووجعوا وجوماً شديداً وساد
الصمت ولم ينبس أحدهم بينت شفاه ، إلا انتنؤوس الذى رد عليه قائلاً :

« ما أسى عبارتك يا تليها خوس ! وما أشد جرأتك ! لقد أخجلتنا
ولكن هذه ليست غلطتنا ؛ إنك تلوم العشاق حين لا ملوم إلا أمك لأنها
أكثر النساء مكرأ . خدعت الادعياء طوال أعوام ثلاثة كادت أن تكون
أربعة ، كانت أثناءها تحيي في نفوسهم الآمال وتقطع لهم الوعود وتبعث
إليهم الرسائل ولكنها تدبر في نفسها أمراً مخالفاً ؛ وإليك آخر حيلة التجأت
إليها : أقامت في غرفتها منسجاً كبيراً تصنع عليه ثوباً طويلاً رقيقاً ، وتأتى
لنا في نفس الوقت وتقول - أيها العشاق ، إنكم ، يا شباب ، تتعجلون
وتطمعون في الزواج منى ، لأن أودوسيوس قد مات ؛ ولكن عليكم أن
تنتظروا حتى انتهى من هذا الثوب ليكون كفناً للآرئيس الكهل عندما
يموت ، ولا تجعلوني مضغة في أفواه اليونانيات إن تركت رجلاً ثرياً مثله
بدون كفن - هذا ما قالته ، فانصرفنا عنها . ولكنها كانت تنقض بالليل
مانسجته بالنهار . وهكذا استطاعت أن تخدع اليونان ثلاث سنوات ، ولما
مرت الأيام وبدأ العام الرابع فضحت إحدى الوصيفات سرها ؛ ففاجأناها
وهي تنقض غزلها ، وبذلك اضطرت إلى إتمامه رغماً عنها .

هذا ما سيقوله الادعياء وتلك هى الحقيقة فاعرفها ليعرفها اليونان جميعاً ،
أرسل أمك إذن وادفعها إلى الزواج بمن يختار أبوها ومن تحب هى » .

ورد عليه تليها خوس قائلاً : « إنى لا أستطيع ، يا انتنؤوس ، طرد أمى
من القصر على غير ماترضاه ، أمى التى ولدتنى وغذتنى ، لأنى إذا قررت
طردها فسوف أشقى شقاء مريعاً وسوف أدفع الثمن غالياً إليها إكاريوس ؛

إنها استدعو إلهات الانتقام لتأمر منى وسأكون موضعاً لخط الناس أجمعين، لذا لن أتخذ هذا القرار أبداً، ولكن إذا كانت ضمائركم تؤنبكم، فاخرجوا انتم من القصر، وأقيموا ولائمكم في غير هذا المكان، بددوا ثروتكم، واستضيفوا بعضكم بعضاً، أما إن رأيتم أنه من اللائق بكم أن تأكلوا مال غيركم فاستمروا في نهيبكم إن شئتم، أما أنا فسارفع صوتي عالياً وأهتف بالآلهة أن تقتص من إسرافكم وبغيتكم، وعندئذ سوف تهلكون في قصرى ولن تجدوا من ينتقم لكم. (١)

* * *

جزيرة كالوبسو :

أرسل كبير الآلهة ابنه هرميس إلى هذه الحورية يأمرها بأن تطلق سراح أودوسيوس وتسمح له بالعودة إلى بلده، ومافناً الرسول المقدس يرف بين السماء والماء ويجوب الفضاء حتى بلغ الجزيرة المنعزلة...

« وما برح يتنقل بين ربوعها حتى بلغ الكهف الفسيح الذى تأوى إليه حورية الماء ذات الخصل الجميلة، فوجدها هناك ورأى عندها موقداً كبيراً تتأجج فيه النار وتتوهج، تنتشر منه رائحة الأرض والصندل العابقة وتملأ أرجاء الجزيرة، وكانت العروس تغرد بصوتها العذب الرخيم وتعمل فى منسج أمامها تحركه فى مرعة فائقة .

« ولقد بسقت حول الكهف أشجار السرو والعاطرة والخور والسنديان، وفوق أغصانها اتخذت الطيور أوكارها، وامتدت على جوانب الكهف أفنان الكروم قوية مثقلة بالعناقيد؛ وتدفقت أربع عيون عن ماء صاف

(١) الأوديسا : ٢ : ٤٠ وما بعده .

يجرى فى جهات متعددة ، ونبقت حولها أعشاب نضرة وسندس جميل
وبنفسج مزهر .

«منظر رائع يسحر الالاباب ويبعث البهجة والسرور فى قلوب الارباب
الحالدين . ووقف هرميس مشدوه الفكر يردد طرفه فى هذا المنظر العجب
ثم أفاق ودلف إلى الكهف (١) ،

قصر الكهين رؤس:

عندما قابلت ناوسيكابطل الأوديسا ملقى على الشاطئء بالقرب من قصر
أبيها ، توسمت فيه النبل ورثت لحاله ، فارشدته إلى القصر ونصحته بمقابلة
الملك ليمد له يد المساعدة ..

ولما وصل إلى القصر بهره لآلاء كنور الشمس أو شعاع القمر ينعكس
من أسوار القصر المصفحة بالنحاس التى كان يحيط بها سياج من اللازورد
الأزرق ، وكانت بواباته من الذهب الخالص وعمده من الفضة ومدخله
من النحاس ؛ وعلى اليمين وعلى الشمال ربضت كلاب من الذهب والفضة تحتها
هيفا يستوس بمهارة فائقة لتحرس قصر الملك العظيم . وكان بداخلها بهو
فسيح صفت إلى جدرانه أرائك بثت فوقها نمارق من نسيج ناعم رقيق ،
واقعد اعتاد زعماء الفياكيس أن يأكلوا ويشربوا فى هذا البهو عندما يولم لهم
الملك . وهناك أقيمت على قواعد راسخة تماثيل من ذهب لصية يحملون
مشاعل تضىء البهوليللا لجموع المدعوين . وكانت بالقصر خمسون من الخادومات ،
بعضهن يطحن القمح ، وبعضهن يغزلن النسيج ويعملن على النول .

(١) الأوديسا : ٥ : ٥٠ وما بعده .

وخارج الساحة كانت تقع حديقة القصر ، ومساحتها أربعة أفدنة تحيطها
الأسوار من كل جانب بسقت في جنباتها أشجار عالية مزهرة ، فاكهتها دائية ، تفاح
وكثيرى وتين وزيتون ورماني ، ثمار جنية أبداً ، لا مقطوعة في الصيف ولا ممنوعة
في الشتاء ، تهب عليها دائماً ريح الصبا تذبذب بعضها وتشيع النضج في بعضها الآخر .
وعلى مسافة من أشجار الفاكهة يمتد بستان الكروم الخصب ، وبه مكان
مسطح دافئ لتجفيف الأعناب ، وترى هناك جماعة وقفوا يجمعون العناقيد
ويعصرونها ، وترى بعد ذلك أحواضاً من الخضر المنوعة تتدفق فيها عينان ،
يجرى الماء من إحدهما في الحديقة كلها وتنساب مياه الأخرى تحت عتبة
القصر ومنها يرتوى أهل المدينة . تلك نعم جزيلة أسبغتها الآلهة على
السينوؤس في قصره ^(١) .

أوديسيوس يناهى شبح أمه :

لما ذهب أوديسيوس إلى عالم الموتى ليسأل شبح العراف تيرسياس عن
الصعوبات التي ستعترضه قبل الوصول إلى وطنه ، قابل هناك شبح أمه التي
كانت ما تزال على قيد الحياة عندما توجه إلى طروادة . فاقترب منها ودار
بينهما هذا الحديث المؤثر البديع .

« أى بني ! كيف جئت إلى هذه الدار المظلمة وأنت ما تزال حياً ؟ إنه
لمن الصعب على البشر رؤية العالم الآخر إذ تفصلهم عنه أنهار عظيمة وسيول
جارية مخيفة ، والمحيط الأعظم الذي لا يمكن لساكن أن يعبره بل لا بد له من ذلك

(١) الأوديسا : ٧ : ٨٥ وما بعده .

متين . أواه ! هل ضربت في عرض البحار بزورقك كل هذا الوقت الطويل حتى جئت هنا أنت ومن معك ؟ أو لم تصل إلى ايثاكا بعد ؟ أو لم تزوجتك حتى الآن ؟ . .

ولما سكنت ، قلت لها : « أماء ! لقد جئت مضطراً إلى العالم السفلى ، جئت لاستشير روح العراف تيرسياس ؛ إننى لم اقترب بعد من وطنى ولم تطأ قدماى أرضه ، وما زلت هائما على وجهى نهبا للأحزان منذ توجهت مع اجاممنون العظيم للقاء أبناء طروادة . ولكن أخبرينى ولا تخفى على شينا ! أى قضاء أودى بحياتك ؟ هل طال بك المرض ؟ أم أصابك سهم من ارتemis ؟ حدثينى عن أنى وعن ولدى الذى تركت ! هل مازال فى أيديهما السلطان ؟ أم انتزعه منهما أحد ؟ هل يئس القوم من أوتى ؟ خبرينى عن حال زوجتى ورأيها ! ألا تزال تعيش مع ولدنا وتحافظ على ثروتنا ؟ أم تزوجت أحد النبلاء ؟ . .

ولما انتهت ، أجابتنى أمى قائلة : « لا يا بنى ! إنها ما تزال وفيه لك تقيم فى قصرك ، تقضى الأيام والليالى فى النحيب والبكاء . أما ملكك العريض فلم يستول عليه أحد وما فتأ ابنك يتولاه ، وما زال أبوك فى الريف لا ينزل إلى المدينة ؛ إنه لا ينام على الأرائك ولا يستعمل الأغطية والوسائد ، وحتى فى الشتاء يفرش الثرى مع الخدم بالقرب من المدفئة ، يلبس ثيابا بالية ، فاذا جاء الصيف والخريف كان فراشه من أوراق الشجر ينام عليه تننابه الأحزان وتقض مضجعه الآلام ينتظر عودتك رغم شيخوخته المضنية . وهكذا قضيت أنا الأخرى وانتهت أيامى ، فلا ارتemis رمتنى بسهم من سهامها ولا أصابنى داء أنك بدنى وافنى حياتى ؛ لا يا ولدى ! إنه الحزن والهم ، إنه الوجد والشوق إليك ، إن هذه جميعا هى التى حرمتنى الحياة الحلوة

ولما سكنت عن الكلام، أردت أن أضربها إلى فاندفعت نحوها لأمسك بها، ولكنها انفلتت من بين يدي كحلم سارٍ أو ظل مبتعد ؛ فامتلأ قلبي حزنا وناديتها بصوت مرتفع وقلت : « لماذا يالاماه ، ترفضين عناقى الذى اتحرق إليه شوقا لى تقبادل القبل ونستسلم للنحيب والبكاء ؟ أم ياترى أرسلت إلى ربة هذه الدياجير شبحا يضاعف همومى وآلامى ؟ » .

فردت على وقالت : « أواه يا بنى ! يا أتعس الناس أجمعين ! ما حاولت إلهة الموتى أن تخدعك أبداً ، ولكنها سنة البشر : إذا ماتوا لم يبق منهم لحم أو عظم أو عضل لأن النار الحامية تلتهم أبدانهم عندما تفارقهم الحياة وتصعد أرواحهم ؛ فعجل وعد مسرعا إلى النور ، واذكر ما سمعت منى وقلة لزوجتك (١) » .

قوس أودوسوس :

كانت پنيلوپا تعلم أنه لا يوجد بين العشاق من يستطيع أن يشد قوس أودوسوس لذا اشترطت عليهم أن يحملوها ويصيبوا بها هدفاً، ووعدتهم بأنها ستكون لمن يصيبه فقبلوا وقاموا بهذه التجربة .

وكان ليوديس أول من حاول شد القوس ولكنه فشل وتركها ؛ فغضب انتنوس وأنبه هذه الكلمات اللاذعة :

« ماذا تقول أيها الصديق ! أهذا نذير تخيفنا منه ! أم قول بغيض تثيرنا به ؟ ماذا تعنى ؟ لقد فشلت لأن أمك لم تلدك لشد القوس وإرسال السهام ، ولكن بيننا من سيشده وسوف ترى » .

(١) الأوديسا : ١١ : ١٦٣ وما بعده .

وجرب العشاق حظهم الواحد بعد الآخر ولكنهم اخفتموا حتى
يوروماخوس أقواهم ، فلقد أبت القوس أن تلين في يده فلما بلغ منه الجهد
القي بها يائسا وقال :

« العار لى ولكم ! إن هذا الزواج لا يحزنى ولكن الخيبة تؤلمنى ، إن
فى إيثاكا وفى غيرها من المدن حسانا وأزواجا لمن يريد ! ولكننى حزين
لأننا دون أودوسيوس قوة ولا نستطيع أن نثنى قوسه . يا للخرى الذى
سيعلم به أحفادنا ، .

وعندئذ تقدم أودوسيوس (متخفيا) وقال : « أرجوكم أن تعطونى
هذه القوس المتينة لأجرب قوتى ولأرى هل مازالت تجرى فى عروقى حيوية
الشباب النابض أم أن بؤس الحياة ومتاعها قد قضت عليها إلى الأبد » .

وثار القوم وتعالى صياحهم وخافوا أن ينبجح فى شد القوس ، فسبوه
وفكروا فى طرده ، لكن بنيلوپا أصرت على أن يحاول الشحاذ ما حاولوا
وأيدها إنها فيما رأت . وتقدم أودوسيوس وأخذ القوس وبدأ يفحصها ،
وكانت ضربة قاصمة للادعياء الذين زاغت أبصارهم وامتقعت ألوانهم .

عندئذ يرسل زيوس الرعد يدوى فى السماء ، نذير شر وهلاك ؛ فيغبط
أودوسيوس كل الاغتباط ، تم يلتقط سهما كان على المنضدة بالقرب منه
ويثبتة فى القوس ويرسله بقوة فى نطاق ولا ينحرف ويخترق الهدف ثم ينظر
البطل إلى ابنه ويقول :

« ايا تليماخوس ! إن ضيفك لم يحجب عليك عارا ، إتنى أصبت الهدف
وثبتت القوس بدون تعب ، فما زلت قويا وكذب العشاق فيما ادعوا (١) ، .

(١) الأوديسا : ٢١ : ١٦٣ وما بعده .

انتقام أودوسيوس

بعد أن نجح البطل في إصابة الهدف ، صم على الانتقام من العشاق
الآثمين . فالتى أسماه وكشف عن شخصيته وتناول قوسه وجعبته ثم
قال لهم :

« وهكذا انتهت هذه المباراة الشاقة والآن سأمدد سهامي إلى هدف
آخر . هدف لم يصبه واحد منكم ، ولكني سأصيبه بمعونة أبوللون وبفضله
سأحقق هذا المجد ، .

ولما انتهى من كلامه ، شد الوتر وارسل سهمًا قاتلاً إلى انتوؤس الذى
أوشك أن يرفع إلى شفّيته كأساً جميلة من ذهب ، مملوءة بالنبيذ ؛ إنه لم يكن
يفكر فى الموت ولم يعتقد أنه قريب منه . وهل كان يحول بخاطره أن شخصاً
يستطيع ، مهما كانت قوته ، أن يقتله ويرسله إلى عالم الموتى فى مثل هذه الوليمة ،
وعلى مرأى من هؤلاء المدعوين ؟ لا ! إلا أودوسيوس بالطبع ، الذى
مدد سهمه إلى حلقوم خصمه ، فسقطت الكأس من يده وانقلب على
ظهره وسالت الدماء من أنفه . وحينما رأى العشاق أخاهم على الأرض ،
هاجوا وماجوا واندفعوا ، فى ذعر شديد ، يبحثون عن أسلحتهم ، ولكنهم
لم يجدوا منها حربة ولا درعاً .

وعندئذ صاحوا فى وجه أودوسيوس غاضبين : « ماذا أصابك ، أيها
الرجل ! أتسعى إلى هلاكك ؟ وتسدد سهامك إلينا ؟ لقد كتبت على نفسك
الموت الزؤام فلن تحمل هذه القوس أبداً ، لأنك قتلت أبيل شباب إيثاكا ،
لذا سوف تنهش الطيور لحمك ، .

فرد عليهم قائلاً : « أيها الكلاب ! ظننتم أنى لن أعود من طرواده أبداً ،

فاستبجتم لانفسكم نهب بيتى ، واعتديتم على نساء قصرى وحاولتم اغراء زوجتى مع اننى مازلت حيا ، لا تخافون غضب الآلهة ولا انتقام البشر ، قالويل لكم لقد حان أجلكم .

ولما سكت ارتعدت فرائصهم وأخذ كل منهم يحاول أن يجد له مخرجا إلا يوروماخوس فقد رد على البطل وقال :

« إن كنت حقا ملكنا أودوسيوس وعدت إلينا . فليس لى أن أدافع عما ارتكبناه من آثام فى غيبتك ، لقد ارتكبوا كثيرا من الخطايا فى بيتك وعاثوا فى الأرض فسادا . ولكن ها هو انتنوس ملقى على الأرض . إنه كان السبب فى ذلك كله ؛ إنه لم يهدف إلى الزواج من امرأتك ولم يرغب فيه ، ولكنه كان يفكر فى شىء آخر لم ترض عنه الآلهة ، كان يطمع فى أن يتربع على عرش إيثاكا المنبوعة ويحكم شعبها ويقتل ولدك ، ولكنه قد لقي حتفه وهذه عدالة السماء .

فأعف عنا إذن نحن رعاياك وسنعوضك من كل ما استبجناه فى هذا القصر ، وسوف يعطيك كل منا ما يرضيك من ذهب ومال .

فقال أودوسيوس : « يوروماخوس ! إنكم ان تصالحوا ما أفسدتم مهما قدمتم لى من ثروتكم وثروة آبائكم ، فلن أكف عن هذه المذبحة قبل أن تدفعوا ما قدمت أيديكم ، فاختاروا إذن القتال وجها لوجه أو الفرار ولكنكم ان تجدوا إلى الفرار من الموت سبيلا .

وسكت عن الكلام وزلزل القوم زلزالا ووجفت قلوبهم ، ثم صاح يوروماخوس قائلا : أيها الأصدقاء ! إن هذا الرجل لن يعرف الرحمة أبدا ، فها هو قد أمسك قوسه وجعبته ووقف عند الوصيد ولن

يتركنا إلا إذا قضى علينا جميعا ، فليس أمامنا إلا القتال . فهيا إلى سيوفكم وتدرعوا بالمناضد ضد سهامه السريعة القاتلة ، واهجموا عليه كلكم دفعة واحدة ، ولنحاول أن نزحزه عن الباب حتى نخرج إلى المدينة ونطلب النجدة ، فإذا ما تم لنا ذلك ، قتلناه وتخلصنا منه .

وبعد أن وجه نداءه ، استل سيفه وهجم على أودوسيوس مرعداً ولكن أودوسيوس الباسل سدّد، في التو ، إلى صدره سهماً اخترق قلبه وصرعه ، فهوت رأسه على منضدة مجاورة ثم وقع على الأرض ولنظ أنفاسه وانتشرت على وجهه سحابة الموت المظلمة . وعندئذ هجم على البطل العظيم عاشق آخر أمسك بسيفه الباتر وحاول أن يزحزح أودوسيوس عن الباب ، وكاد ينال من البطل منالاً لولا أن قفز نحوه تليماخوس وضربه من الخلف برمح واغمده بين كتفيه ، فاخرقت ظهره وسقط العدو وارطم بالأرض وأحدث صوتاً هائلاً ، ثم تراجع تليماخوس دون أن ينزع الرمح من جسده ، وجرى نحو أبيه واقترب منه وقال له :

« يا أبته ! إني ذاهب لأحضر لك حراباً ودرعاً وخوذة تحمي رأسك ، وسوف أعد نفسي وأسلح الراعيين لندافع عن القصر . »

فقال أبوه : « هلم يا بني وهات الأسلحة بينما أقاومهم وحدي ! أسرع حتى لا يتغلبوا علىّ » .

واطاع تليماخوس أباه وانطلق إلى الغرفة التي كان قد أخفى فيها السلاح ، فاحضر ما أراد من رماح وسيوف وخوذات وأدرع ثم لبس والبس الراعيين وعاد ثلاثتهم ووقفوا إلى جانب البطل ، وبدأت اثنا الحكمة في زى منتور وحاربت معهم بعض الوقت حتى أدركت أن كفتهم الراجحة ،

ثم تحولت إلى عصفور جعل يرفرف في سماء البهو . . . واستمر
أودوسيوس في تسديد سهامه إلى صدور العشاق حتى قضى عليهم واحداً
بعد واحد (١) .

* * *

السلام بسود ربوع أثينا :

لما عرف أهل أثينا كما حاق بالعشاق من نكبة على يد ملكها ،
أهرعت جموع أقاربهم إلى قصره صاخين ، واجتمعوا ليتشاوروا فيما
ينبغي أن يكون ، فرأى بعضهم أن يحاربوا أودوسيوس وينقموا منه .
وكان زعيم هؤلاء يوپيثيس « Eupithes » فقام فيهم خطيباً وقال :
« أيها الأصدقاء ، لقد جلب عليكم هذا الرجل المصائب الفادحة ، فكم
من شاب يافع أبحر معه إلى طرواده ؟ وكم من محارب هلك هناك وكم
من سفينة دمرت ؟ وهاهو ذا يعود ويقتل زهرة نبلائكم . فهلوا إذن قبل
أن يفر إلى پولوس ، هلموا على عجل حتى لاتوصموا بالعار ماحيتم ! إنا إذا
لم نثار لأبنائنا وأخواننا فإن الأجيال التالية ستصمنا بالخزي دائماً . إنى
أصبحت لا أجد في الحياة لذة أو متعة . فليتنى كنت الآن في عداد الموتى !
هلموا إذن ولا تسمحواله بالهرب » .

ثم جلس والدمع ينهار من عينيه ، فرثى القوم لحاله وأسفوا أسفاً
شديداً ، لكن ميدون اقترب منهم وقال :

(١) الأوديسا : ٢٢ : ١ وما بعده .

« أيتها المواطنين ، أعيرونوا آذانكم ! إنكم مسئولون عن الشرور التي تنزل بكم الآن ، إنكم لم تقبلوا نصيحتي ولم تطيعوا راعيكم الآمين متور ، لقد نصحناكم بأن يكف أبناؤكم عن حماقتهم وألا ينساقوا وراء طيشهم ويرتكبوا الآثام ويبددوا ثروة رجل من علية القوم ويضايقوا زوجته ، فظنوا أنه لن يعود أبداً . فهل تصغون إلى اليوم وتقبلون نصيحة أسديها إليكم ؟ لا تذهبوا ولا تحاربوا أودوسيوس ولا تكونوا كالذي سعى إلى حتفه بظلفه » .

وما فرغ حتى تصايح القوم وثاروا واسرعوا إلى اسلحتهم يريدون أن يشعلوا نار حرب ضروس .

لكن أثينا مضت إلى زيوس ونادته قائلة : « ماذا تضمر في نفسك ، يا أبتاه ؟ هل تريد أن تطول هذه الحرب المريرة وتمتلئ بالمعارك المخيفة ؟ أم ترغب في التوفيق بين الفريقين وتشر السلام في إيثاكا ؟ » .

فرد عليها ، مجمع السحب ، قائلاً : « فيم هذا التساؤل يا ابنتي ؟ أو لم تصممى أنت على أن يعود أودوسيوس إلى وطنه ويماقب أعداءه ؟ فاصنعى ما يحلو لك . ولكن إليك رغبتى : مادام أودوسيوس قد ثار لنفسه من العشاق ، فليكن السلام بين الفريقين ، وليحكم أودوسيوس على الدوام ؛ وعلينا أن نمن على أعدائه بالصبر وننسيهم قتلاهم ونولد المحبة في قلوبهم ليسود السلام في أرضهم وتزدهر حالهم وتزيد ثرواتهم ؟ » .

وحلقت أثينا في السموات العلا وانطلقت نحو إيثاكا وبدأت لأهلها
في صورة منتور وهتفت بهم وبملكهم وقالت :
« السلام ، السلام أيها المحاربون ، ضعوا حدا لهذه المعركة ولا تجلبوا
عليكم غضب زيوس العلي العظيم » .
فاستجابوا لندائهم وتقاسموا على الود والوفاق واصبحوا أصفياء
متحابين (١) .

(١) الأوديسا : ٢٤ : ٤١٢ وما بعده .